٣ (مبارزة بين الدرع والمدفع) من المعلوم ان الدروع وصفائح السفن الحديدية لم تكن واقية بشروط الدفاع قبل اكتشافات المسيو هرفي (Harvey) (راجع المشرق عدد ١٢ ص ٥٢٩) اما الدروع التي اخترعها العلامة المذكور فهي متألفة من الفولاذ المختلطين على مقادير معلومة بحيث ان وجه الدروع يكون متصلباً غير قابل لنفوذ قذيفة من القذائف . الا ان مادة صفائح هرفي قصمة يحميها خلل فالكرات تشق وجهها لا سيما قنابل هُلتزر (Holtzer) القوية

والآن اخبرتنا المجلات الاوربية ان مهندسي معمل كروب المشهور قد اخترعوا صفائح فكلية جديدة يحصل عليها بواسطة النار وهي على ما يقال امتن من دروع هرفي واصلب منها حتى انها لا تقبل ادنى تأثير من اقوى القذائف واضرها

غريغوريوس ابو الفرج المعروف بابن العبري

للاب لويس شيخو اليسوعي

(تابع لما قبل)

٨ كتب شتى

يبقى لنا لتعريف اعمال ابن العبري ان نذكر له بعض تآليف لم تدخل في الابواب السابقة لعدم علاقتها بموادها فأفردنا لها باباً خاصاً

واول هذه التصانيف كتاب لابي الفرج في تفسير الاحلام (ܚܘܠܡܐ وܦܫܪܐ ܕܚܠܡܐ) وضعهُ وهو في ريعان شبابه بناهُ على مراقبة الكواكب ورصد البروج كما فعل ابن سيرين عند العرب . ولا يخفى ما في هذا الامر من الشعوذة والخرافات اذ لا يجوز تصديق الأحلام ما لم يأتنا اللهُ بدليلٍ صادقٍ على ارادتهِ عزَّ وجلَّ كما فعل مع يوسف الحسن او دانيال النبي

والكتاب الثاني الذي لم يمكنّا ادراجهُ فيما سبق هو كتاب تفسير ايروتاوس (ܚܘܠܡܐ ܘܦܫܪܐ ܕܐܝܪܘܬܐܘܣ) وكتاب ايروتاوس من تآليف اسطفان بَرصُدَيلي في اوائل القرن الخامس للمسيح كان هذا من زنادقة عصره يذهب الى مذهب الطبيعيين والملاحدة يقول

بتأله الكائنات وينكر خلود عذاب الجحيم فنفث سمّ تعاليمه في كتاب نسبهُ لايروثاوس تلميذ بولس الرسول على زعمه واوّل اساقفة اثينة قبل القديس ديونيسيوس الاريوباغي. فسرى هذا التأليف بين مراطقة السريان يتناقلونهُ سرًّا. ولمّا جلس على كرسي انطاكية تاودوسيوس البطريرك اليعقوبي (٨٨٧ — ٨٩٦ م) وضع شرحًا مطوّلًا على كتاب ايروثاوس. فجاء بعدهُ ابن العبري وهذّب هذا التفسير ورتّبهُ (١ وكان هو عنهُ في غنًى ساعهُ الله. وفي مكتبتنا الشرقية نسخةٌ قديمة من هذا الكتاب السرّي وجدناها في مدينة آزخ ينقصها بعض صفحات في اوّلها وآخرها وهي تختلف عن نسخة باريس (Fonds syriaque, Ms. 227, n° 4) واملّها اصل كتاب بَرْصُدَيلي فانّها توافق ما كتبهُ فرتنغام (٢ عن أقسام هذا الكتاب وهو سبع مقالات او مياسر وكلّ مقالة تحتوي عدّة فصول

وقد ورد ايضًا لابن العبري في بعض كتب باريس الخطّية (عدد ١٤٩ ص ١٦١) خطبةٌ في التوبة مكتوبة بالكرشوني تُقرأ عند اليماقية كرثاة على الجنازة

فهذه هي الكتب او قل بالاحرى الدرر الثمينة التي خلّفها ابن العبري لنصارى الشرق وهم يتوارثونها ككنزٍ يفتخرون بهِ ونبراس يستضيئون باشعّتهِ طالما لاح كوكب في السماء وغرّدت فوق الأيك ورقاء.

١٢

قد انجزنا في ما سبق لنا من الكلام بوعدنا ان نستقري اعمال ابن العبري ونستوفي بذكر ما انتجتهُ قريحتهُ الوقّادة من التآليف النفيسة. بيد أنّنا لا نودّ ان نختم مقالتنا هذه دون ان نكشف القناع عن بعض ما فرط لابن العبري من الاغلاط ليأخذ القرّاء منها جذرهم عند مطالعة كتبهِ العديدة والمثل يقول انّ غلطة العالم يضلُّ لها عالَم. وقيل ايضًا: زلّة العالم يُضرَب بها الطبل وزلّة الجاهل يُخفيها الجهل

واوّل ما نأخذ على ابن العبري انتصارهُ لشيعة النوفيزيتين اي القائلين بطبيعة واحدة في المسيح. ومن المعلوم انّ هذه البدعة ناصبت المجمع الرابع المنعقد بخلقيدونية (سنة ٤٥١ م) حيث أبسل الآباء اوطاخيّ وديوسقوروس وبرصوما ونذّدوا باضاليلهم

---

١) راجع Frothingam: *Stephen Bar Sudaili and the book of Hierotheos*, p. 8

٢) *Ibid.*, 91 - 111

فدحضوها. الّا انّ اشياع هؤلاء المبتدعين لم يزالوا يتلوّنون كابي براقش ليتأصوا من حكم الكنيسة وكثيرًا ما تضاربت اقوالهم في طبيعتَي المسيح. فكانوا في بادئ الامر لا يسلّمون الّا بوجود طبيعة واحدة. فلمّا بيّن لهم الآباء صريحًا ببراهين عقليّة ونقليّة ان في قولهم لشططًا كبيرًا اخذوا يقولون بالطبيعتين الّا انّ بعضهم زعموا انّ تينك الطبيعتين امتزجتا امتزاج الخمر بالماء فنتج عن اختلاطهما طبيعة اخرى جديدة. ومنهم من ذكر هذا الامتزاج غير انّهم ارتأوا انهُ حصل باتحاد الطبيعتين طبيعة مركّبة (ܒܝܥܬܐ ܚܕܬܐ ܡܬܚܕܬܐ) او طبيعة مضاعفة (ܒܝܥܬܐ ܚܕܬܐ ܕܡܬܥܒܕܬ) وهذا القول الاخير هو الذي شاع عند اليعاقبة. وفي كتُب ابن العبري ما يُشعر بهذا الضلال لا سيّما في الدستور الذي وضعهُ للايمان وفي كتابه منارة الاقداس (راجع ص ٥٥١)

ومما قالهُ في قانون الايمان: « أننا نؤمن . . . انّ في سيدنا يسوع المسيح طبيعتين هما اللاهوت والناسوت. وانّ اتحاد لاهوتهِ مع ناسوتهِ اتحادٌ عجيب يفوق كلّ وصف صار بلا اختلاط ولا تبلبل ولا تغيُّر ولا تحوُّل ولا امتزاج. وقد سَلِم الفرق بين الطبيعتين القائمتين في ابنٍ واحدٍ ومسيح واحد واقنوم واحدٍ ». وهو لعمري قول جدير بأن يُرقّم بماء الذهب الّا انّ صاحبهُ افسدهُ او قُل بالاحرى انّهُ ناقضهُ بما اردف: « والمسيح جوهر واحد ومشيئة واحدة وقوّة واحدة وعمل واحد ». فقولهُ جوهر واحد (ܒܝܥܬܐ ܚܕܬܐ) يبيّن ان ابن العبري جهل او تجاهل في معنى الجوهر. والجوهر كما لا يخفى هو الطبيعة المنفردة فترى كيف يكون المسيح طبيعتان ولا يكون لهُ جوهران ؟

واما قول ابن العبري انّ « المسيح مشيئة واحدة وقوّة واحدة وعمل واحد » فقد زاد بهِ على ضلالهِ ضلالًا وتمذهب بمذهب المونوثليتيين القائلين بالمشيئة الواحدة. أفنبي ساحهُ الله صلاة المسيح في البستان حيث يقول لابيهِ (متّى ٢٦ : ٣٩) : ليس كمشيئتي بل كمشيئتك ؟ ولا ريب في انّ الربّ يقابل هنا بين المشيئة البشريّة والمشيئة الالهية. او كيف استطاع ابو الفرج ان يقول بعمل واحد في المسيح ؟ ألعلّهُ يقول انّ الاكل والشرب والنوم والموت من اعمال الطبيعة الالهية ؟ او يزعم انّ إحياء الموتى وطرد الشياطين وفعل المعجزات من اعمال الانسان ؟ . فبالحقيقة لا نفهم كيف فات ذلك ابنَ العبري مع سموّ مداركهِ وغزارة فهمهِ. فحقًّا للضلال فانّهُ يعمي البصيرة ويُتيه صاحبهُ في بيداء الوهم والتُّرهات

هذا وانَّ اليعاقبة في زماننا لا يتجاسرون على ان يفرطوا في مقالهم عن طبيعتي المسيح ومشيئتيه وكثيرًا ما يضربون الصفح عن هذه المباحث الخطيرة لئلَّا يدحض الكاثوليكيون حجتهم الباطلة وقد بلغ الامر في ذلك الى انَّهم لم يأتوا بذكر الطبيعتين في كتاب تعليمهم المسيحي المطبوع في دير الزعفران سنة ٢٢٠١ لليونان (١٨٨٩ م). ومنهم من يذهب الى انَّ هذه المسائل من عرَضيَّات الايمان ليس تحتها كبير امر فيسوغ القول بها او العدول عنها على سواء دون ان يلحق بجوهر الايمان ضرر. وهكذا ارتأى ابن العبري نفسهُ في آخر مقالتهِ عن المرطقات في كتاب منارة الاقداس

ومن عجيب الامور انَّك لا تكاد ترى في دساتير الايمان التي كتبها بطاركة اليعاقبة في هذا العصر من هذا القبيل ما تنبذهُ الكنيسة الكاثوليكية. ودونك ما ورد في دستور الايمان للبطريرك جرجس الرابع سنة ٢١٣٢ لليونان (١٨٢٠). واصل هذه الكتابة بالكرشوني محفوظ في خزانة مكتبتنا الشرقية تيسَّر لنا الحصول عليهِ في ماردين منذ ثلاث سنوات (١ قال :

« . . . . سادسًا ونؤمن ونعترف انَّ الجسد الذي اتحد بهِ الكلمة لم يتزل معهُ من السماء وليس هو خيالًا بل جسدًا حقيقيًّا ابن طبعنا ذا نفس عاقلة ناطقة. وأنَّ الطبيعة الغير المائتة والغير القابلة الآلام والاعراض الجسدانية سرتْ واتحدت بالجسد ذي الطبيعة المائتة والقابلة الآلام والاعراض وصار منهما مسيحٌ واحدٌ وابنٌ واحدٌ وشخصٌ واحدٌ فاعلٌ للآيات والعجائب (٢ وقابلٌ للاعراض كالتَّعب والنَّصب والآلام (٣ وطُعن بالحربة فجرى من جنبهِ دمٌ وماء ومن عاين شهد وشهادتهُ حقٌ. وذلك بالتدبير السرّي الذي هو يعلمهُ وقد شاء بهِ اذ ليس الناسوت فعل بهِ وحدهُ هذا الفعل كأنَّ اللاهوت مفترقٌ منهُ او بعيدٌ عنهُ. حاشا. بل باتحاد اللاهوت بهِ لانهما متَّحدان بوحدانيَّة غير مفترقة في كلّ شيء من التدبير . . . لا في القوَّات اللائقة بالله ولا في الآلام اللائقة بالانسان بل الطبيعتان ثابتتان بوحدانيَّةٍ لا تضمحلّ ولا تفترق. والطبيعتان غير مختلطتين لئلَّا يضمحلَّا بذوق الموت بل الظافرة بالموت واعراضهِ متَّحدة بلا اختلاط مع التي ظفر بها الموت . . . . وهكذا

---

١) وفي خزانة كتابات بطاركة السريان الكاثوليك في ماردين عدَّة دساتير ايمان خطَّتها البطاركة اليعاقبة تشبه هذه قد اطلعنا عليها سيادة المطران حنَّا سعاد باشي الجزيل الاحترام

٢) اعني من حيث هو اله ٣) يريد من حيث الناسوت

شهد القديس مار افرام (في ميمرهِ الذي وضعهُ على الامانة) حيث يقول: « لو لم يكن انسانًا كيف كان يحملهُ حمان الشيخ على ذراعيهِ ولو لم يكن الهًا كيف كان يطلب منهُ الانطلاق بالسلام الخ ». وقال القديس يعقوب النصيبيني في كتاب التغزان... « خرج من بطن البتول بحال يفوق الطبيعة بما انهُ اله والتف بالقماطات بما انهُ انسان. سبَّحتهُ الملائكة بما انَّهُ إله ونظرهُ الرعاة بالمغارة بما انَّهُ انسان الخ ». فلأجل هذا نقول ان كلّ ما يليق بالناسوت فهو لهذا المسيح الواحد... الذي احتمل الآلام بجسدهِ واقام الاموات بلاهوتهِ فاذًا ليس هو اثنين بل واحدًا مات بالجسد كانسان وظفر بالموت كالله... »

١٣

ومن اغلاط ابن العبريّ التي بها شرد عن الصراط المستقيم قولهُ في كتاب منارة الاقداس بانبثاق الروح القدس من الآب دون الابن. وهذا زعم غريب لم نعهد بمثلهِ عند اهل ملَّتهِ اللهمَّ الَّا في اعمال فيلوكسين المنبجيّ. واقوى برهان يفنّد هذا القولَ الشهاداتُ العديدة الواردة في كتب السريان والكلدان عن انبثاق الروح القدس من الآب والابن معًا. ونكتفي هنا بذكر صورة الايمان التي وضعها آباء مجمع المدائن (كتيزيفون) في سنة ٤١٠ للمسيح قبل ابن العبري بنحو تسعمائة سنة فجاء في معرض عقيدتهم ما نصُّهُ: « ونعترف بالروح القدُس الحيّ البارقليط المنبثق من الآب والابن ». واتى ايضًا في ميامر يعقوب السروجيّ من مشاهير كتبة القرن الخامس: « ونؤمن ونعترف بان الروح القدس ينبثق من الآب والابن ». وكتب البطريرك ديونيسوس الثالث في القرن العاشر الى مِنَّاس بطريرك الاسكندريَّة: « نعترف ان الآب ليس وجودهُ من احدٍ اذ هو موجود غير مولود وانَّ الابن مولود من الآب منذ الأبد وانَّ الروح القدس فائضٌ من الآب والابن »

ومن الشهادات التي تدخل في هذا الباب وتدحض زعم ابن العبري دحضًا تامًّا ما اتى في كتب السريان الليتورجيَّة. فمثال ذلك ما يُقرأ في تاقور القديس كيرلسوس (١): « قدّس يا رب هذه التقادم بان يحلّ عليها روحك القدّوس الذي ينبثق منك ازليًّا ويستمدّ من ابنك استمدادًا جوهريًّا »

وقد ورد في تاقور ماروثاس والبطريرك اغناطيوس مثل هذه الاقوال التي تشير

(١) راجع Renaudotii *Liturg. Orient. Collectio.*, II, 136

الى آية الانجيل في يوحنا (١٦ : ١٤ — ١٥) : « متى جاء روح الحق . . . هو يمجدني لأنهُ يأخذ مما لي ويخبركم . جميع ما للآب فهو لي من اجل هذا قلتُ لكم انهُ يأخذ مما لي ويخبركم » . ففي قول الربّ هذا برهان جليّ على انبثاق الروح القدس من الابن اتفق عليهِ اكثر مفسّري الكتاب المقدّس من آباء الكنيسة الغربية والشرقية

ولا نظنّ ان اعتقاد اليعاقبة في يومنا هذا يختلف عن ايمان اجدادهم . فانّ البطرك جرجس الرابع الذي سبق ذكرهُ يقول في دستور ايمانهِ ما نصُّهُ : « ليس هو (الروح القدس) آبٌ ولا هو ابن بل روح قدس وخاصّتهُ الانبثاق لانهُ منبثق من الاب ومستمدّ من الابن . قال القديس كيرلس بابا رومية في كتاب رتبة القدّاس في دعوة الروح القدس : المنبثق منك ازليًّا والمستمدّ من ابنك جوهريًّا الخ » . وورد في التعليم المسيحي المطبوع في دير الزعفران (ص ٦٤) برهان آخر على اعتقاد اليعاقبة حالًا بانبثاق الروح القدس من الابن فانّ كاتب هذا التعليم يبيّن هناك انّ الروح القدس هو روح يسوع ومن ثمّ منبثق منهُ ويسند قولهُ الى آية سفر اعمال الرسل (١٥ : ٦) كما وردت في الترجمة السريانية

١٤

ولابن العبري ايضًا اضاليل أُخر وردت في كتبهِ منها زعمهُ في منارة الاقداس وكان سبقهُ الى هذا القول ديونيسيوس بَرْصليبي († ١١٧١) انّ جوهري الخبز والخمر لا يستحيلان الى جسد ودم المسيح في القربان بل يتّحد بهما لاهوت المسيح مع بقائهما خبزًا وخمرًا . وهذا غلطٌ واضح ينفيهِ تعليم الكنيسة اليعقوبية فضلًا عن الكنيسة الكاثوليكية . وهاك ما ورد في الصفحة ١٨٠ من تعليم اليعاقبة :

س هل يبقى الخبز خبزًا والخمر خمرًا بعد التقديس

ج لا بل بعد التقديس يصير الخبز جسدًا والخمر دمًا

وفي الاسئلة والاجوبة التالية يبيّن كيف انّ عوارض الخبز والخمر باقية مع استحالة جوهريهما . وايمان اليعاقبة في هذا الامر لم يطرأ عليهِ ادنى اختلاف

وجاء ايضًا لابن العبريّ في كتاب المنارة قولٌ لا يرضى بهِ الايمان الكاثوليكيّ نقلهُ عن موسى بَرْكيفا احد مشاهير شيعتهِ ويزعم كلاهما انّ نفوس الابرار لا تدخل السماء بعد الوفاة بل تبقى في الفردوس الارضيّ الى يوم الدينونة فتجتمع باجسادها حينئذٍ وترث الحياة الابدية . وزاد ابن العبريّ على ذلك انّ هذا الفردوس سيكون بعد القيامة مسكنًا

لانفس قسم من البشر ليسوا من الابرار ولا من الصالحين. وكلا هذين القولين فاسد. امّا الاوّل فيبطلهُ اعتقاد معظم الكنائس الشرقية والغربية وهي كلُّها تتكرّم اولياء الله وتلتجئ الى شفاعتهم وتتنعّم بمشاهدته تعالى عيانًا وذلك ممّا لا يصحُّ القول بهِ لو لم تحظَ هذه النفوس برؤيا الله عزَّ وجلَّ قبل القيامة. واما الثاني فهو قول لا يُعبأ بهِ والنصارى جميعًا لسان واحد في رفضهِ فانهم على اختلاف مذاهبهم يقرّون بانَّ بعد الدينونة حالتين فقط فيحظى البشر بالنعيم او يُلقَون في الجحيم وكلاهما ابديٌّ لا ينتهي (راجع متّى ٢٥: ٤٦ الخ)

وقد استثنوا من هذا الحكم الاطفال المائتين قبل العماد فانهم يُحرَمون معاينة الله لكنَّهُ لا يمسّهم عذاب الحسّ. امّا سكناهم فقد تضاربت الآراء في تعيينها. فقال قوم انها الينبوس وقال آخرون انهم يسكنون الفردوس الارضي وقيل انهم يقطنون الارض

١٥

هذا وانّ ابن العبريّ قد اتّبع في بعض مزاعمهِ آراء ضعيفة (١ لقدماء اللاهوتيين والفلاسفة والطبيعيين لا يسعنا هنا تعدادها ودحضها فعلى من يعثر عليها في كتبهِ ان يعرضها على معيار الحكمة ويقابل بينها وبين ما تقرّر الآن عند علماء عصرنا فينكبّ عن جادّة الضّلال

ومع ما ذكرنا لابن العبريّ من الاغلاط لا ننكر ما لهُ من عميم الفضل وطول الباع في جميع علوم الاقدمين وقد قيل ليس جوادٌ الّا ويعثر ولا كامل الّا الله عزَّ وجلَّ ولنا نحن الكاثوليكيين اسبابٌ خاصّة تبعثنا على إطراء هذا الرجل العظيم والثناء عليهِ لانَّهُ مع كونهِ من شيعة انفصلت عن الكنيسة الرومانية منذ القرن الخامس قد اتى بشواهد جمّة تفصح عن صحّة عقائدنا واستقامة ايماننا فان استقريت مصنّفاتهِ لا تكاد تجد تعليمًا واحدًا من تعاليم الكاثوليكيين ممّا ننكرهُ عليهم أخصامهم الّا وتجد في تآليف ابن العبريّ عليهِ شهاداتٍ لا يشيبها ريب. ولو سردنا اقوالهُ عن كلّ هذه المعتقدات بابًا بابًا لاتّسع بنا المجال وطال المقال وحسبنا ان نذكر هنا بعض اقوالهِ في رئاسة القديس بطرس والاحبار الرومانيّين

فممّا ورد لهُ في هذا الشأن ذِكرُهُ لهامة الرسل في سجلّ عظماء الاحبار كخليفةٍ لقيافا وحنان آخريْ احبار العهد العتيق فقال في تاريخهِ الكنسيّ (١: ٣١) « وانتهت (بقيافا وحنان)

(١) وفي الصفحة ٥٥ من تاريخ الدول قول لابن العبري في سفر الجامعة دحضهُ الاب صالحاني

رئاسة الكهنوت القديمة وابتدأت رئاسة الكهنوت الحديثة التي بثّها مخلّصنا لمّا جعل بطرس هامة للرسل وسلّمهُ مفاتيح ملكوت السماوات. فقام اذن بعد رؤساء كهنة العهد العتيق بطرس رئيس كهنة العهد الجديد ». فلعمر الحقّ انّ هذا القول خالٍ من المعنى لو لم يفهم ابن العبريّ انّ لبطرس الصفا الرئاسة التامّة على الرسل اخوتهِ والكنيسة جمعاء. وانّ لخلفائهِ ليس فقط حقوق التقدّم والشرف على سائر الكنائس بل ايضاً حقوق الامر والسلطان كما كانت لعظماء احبار العهد العتيق. وفي شرح ابي الفرج على قول الربّ في انجيل متّى (١٦ : ١٨) وفي انجيل يوحنّا (٢١ : ١٥—١٧) ما يُشبه قوله السابق لا حاجة لاثباتهِ

وقد ذكر ايضاً ابن العبريّ مراراً عديدة في كتبهِ كرسيّ رومية او بعض احبارها الأجلاّء. وهو لا يسهو عن ان يُشعر باعترافهِ لهم بالرئاسة الكاملة فيدعو كنيسة رومية امّ جميع الكنائس ورأسها ويدعو احبارها ورؤساء البيعة الجامعة واصحاب الكرسيّ الاوّل. بل اثبت ايضاً في كتاب الهداية قانون المجمع النيقاوي الوارد في هذا الصدد وهو قول الآباء: « ولتكن الكراسيّ البطاريركية اربعةً بعدد اربعة انحاء المعمور. امّا الرئاسة العظمى على هذه الكراسيّ فهي لرومية ». ولابن العبري ملاحظات وتفاسير على قوانين الجامع لاسيّما انّهُ اذا بطل بعض القوانين ينبّه على ذلك ولا تراهُ هنا فاه ببنت شفة فسكوتهُ شاهد على انّهُ يقرّ بقوّة هذا القانون القديم ويسلّم بصحّتهِ. وهذا بعض من عدّ التقطناهُ من اعمال ابن العبريّ وفيه كفاية لمن طلب الهدى

ونختم هذه المقالة طالبين من مراحمهِ تعالى ان يزيل من بين الشعوب المسيحية كلّ خلاف وخصام ليرعوا المراعي الخصبة في حظيرة واحدة تحت رئاسة راعٍ واحد. فانّهُ السميع المجيب (انتهى)

كتاب
تاريخ بيروت

لمحمد بن صالح (تابع لما سبق)

ذكر الامير زين الدين صالح بن عليّ بن بحتر بن عليّ امير الغرب

كان زين الدين من اشجع اهل زمانهِ واشدّهم بأساً ذا كرم وافر ومروءة زائدة (١

(١) ورد في ذيل كتاب المؤلف ما نصّهُ: وموجب معاصرتهِ لجمال الدين وسعد الدين انّهُ